في حوار حول كتابه الاخير «شريط العرب السيئ»:

جاك شاهين: هوليوود جعلت العرب العدو الأول لأمريكا!

لندن ـ «القدس العربي» ـ من ابراهيم درويش:

هوليوود ومنذ اكثر من قرن عملت على تشويه صورة العربي وبطريقة منظمة، هذه حقيقة معروفة بين العاملين في حقل الاعلام الاتصالي وفكرة التنميط عن بقية الشعوب التي مارستها خلال تاريخها. وفي الوقت الذي مارس فيه منتجو هوليوود عملية التنميط للشعوب الاخرى فان صورة «الاخر» الخارج عن هوليوود ظلت تتراوح قربا او بعدا بحسب الظرف، فهناك قطعا صورة سيئة عن السود، الافارقة والافارقة الامريكيين، واللاتينو، ابناء امريكا اللاتينية، والاسيويين، اليابانيين والصينيين، والهنود، من شبه القارة الهندية ـ والهنود الحمر، سكان امريكا الاصليين، ولكن ما يهم في هذه المعالجة انها تعرضت للتعديل او التغيير فيما اختفت بعضها ولم تعد موجودة، مقارنة مع نظرة هوليوود للعربي التي ظلت سيئة وتعتمد على مجموعة من النمطيات السلبية عن العربي الشرير، الشهواني، الذي يمارس القتل والارهاب ويلاحق المرأة الغربية من اجل الحصول على جسدها قبل ان يضمها الى حريمه، وصورة العربي النمطية، مرت بمراحل الا انها حافظت على تصاعد خطي اي انها لم تحد عن فكرة التعميم التي قدمت العرب والعربي كوحدة واحدة لم تفرق بين العربي المسيحي والمسلم، بل ربطت الاسلام بالعربي مع ان المسلمين من خارج اطار العروبة يظلون اكثر من العرب. ومع ان العرب ساميو العنصر والاصل الا ان معالجتهم في السينما اختلفت عن اليهودي او الصهيوني.

ويطرح الباحثون في علم الاتصالات عن السبب او الاسباب التي جعلت من الصورة العربية في الاعلام الهوليوودي ثابتة وجامدة تعتمد على افكار قديمة ولم يعد لها مكان في عالم القرية الصغيرة اليوم. بالنسبة للعربي العادي الذي يشاهد هوليوود وافلامها، اذا اخذنا بعين الاعتبار ان معظم الافلام تصدر من هوليوود فالاخيرة يسيطر عليها اليهود ولهذا يقومون بدعم من اللوبي الاسرائيلي بتأكيد الصورة، ومع ان هناك جزءا صغيرا من الحقيقة الا انها ليست الحقيقة.

هوليوود في معالجتها للعربي في افلامها ورثت الصورة النمطية التي قدمها الاعلام الشعبي الاوروبي الذي جعل من الاخر «مستعمرة»، وقدم صورة مغايرة عنها، ولكن الصورة العربية لها علاقة بالجهد العربي الذي اكتفى بالمراقبة والشكوى دون محاولة الدخول في عالم هوليوود فالتواجد العربي في السينما الامريكية معدوم، مع ان المهاجرين العرب يحملون نفس التواريخ التي يحملها المهاجرون الاخرون الذين يشكلون امريكا اليوم. وهؤلاء العرب نسبة المسلمين منهم 40 بالمئة اما البقية فهي من الاقليات المسيحية التي بدأت هجراتها الى امريكا الشمالية في نهايات القرن التاسع عشر، وهؤلاء اندمجوا في الحياة العامة الامريكية، والكثيرون قاموا بالدفاع عنها وشاركوا في حروبها في فيتنام والحرب الكورية والحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك لا يوجد في السينما الامريكية فيلم او محاولة لاظهار الجانب الاخر من حياة الامريكيين العرب، بل ان الجيل الجديد من ابناء العرب الامريكيين غالبا ما يواجهون باسئلة تقوم في الاعم الاغلب على ما يراه الامريكيون من مشاهد في الافلام، فعربية تقول انها غالبا ما تواجه سؤالا فيما اذا ركبت جملا او ان اهلها عاشوا في خيمة، وهي الصور النمطية التي ترسم عالما غرائبيا عن العرب الذين يجمعون الجمال مع سيارات الليموزين والقصور الرخامية مع الخيام الكبيرة. ومع ان صور العربي تتعدد من ناحية التعميم، فالمصري، والفلسطيني، والمسلم، والشيخ والحريم الا انها تشترك في اطار واحد وهي تصويرها عبر زاوية سلبية، فصناع الصور والخيالات في هوليوود لم يركزوا عدساتهم على جوانب اخرى ايجابية للعربي الذي علم الانسانية الارقام، وشارك في الاختراع. العربي بدائي، في شكله، ونظراته، وملامح وجهه خاصة انفه المعقوف الذي يذكر بالساميين، ولكن سامية العربي تختلف عن سامية اليهود، وهو ما دعا الباحث جاك شاهين للحديث عن «العداء الجديد للسامية» في هوليوود.

وجاك شاهين استاذ علم الاتصالات في جامعة جنوب ايلينويز، ومستشار سابق لشؤون الشرق الاوسط لشبكة انباء «سي بي اس»، ويعتبر من اهم الباحثين الذين حللوا صورة العرب في الاعلام الامريكي، خاصة السينما، لديه الكثير لقوله عن «مصير العرب» على ايدي صناع السينما الامريكي، وهو في البداية يرفض فكرة «المؤامرة اليهودية» في هوليوود، حيث يقول ان العرب لا يعملون ولا يقومون بالجهد اللازم لاقناع صناع السينما، وانشاء جماعات ضغط داخل عالم هوليوود. شاهين الذي زار لندن في نهاية العام الماضي بدا متحمسا لفكرة انشاء مهرجان او تظاهرة سينمائية عربية ـ امريكية، حيث اقترح دبي لتحتضن مثل هذه التظاهرة ولكي تكون بمثابة العربي الجيد لاظهار جوانب القصور في معالجة امريكا لصورة العربي/ المسلم في افلام هوليوود. وينتمي جاك شاهين الى جيل من العرب الامريكيين الذين جاء اباؤهم واجدادهم الى امريكا واسهموا مثل غيرهم في خدمة بلادهم، ومع ذلك يشعر مثل كل العرب الامريكيين بفكرة الاجحاف الذي تعرضوا له على ايدي الكاميرا الامريكية.

وكان حزينا جدا على المصير الذي لقيه اول سينمائي عربي قاتل من اجل صورة جميلة للعربي وهو المخرج المعروف مصطفى العقاد الذي قتل في هجمات عمان في تشرين الثاني (نوفمبر) العام الماضي، فالعقاد استطاع تأكيد نفسه في سينما هوليوود في زمن كانت فيه الهجمة على العربي على اشدها، واذا اخذنا بعين الاعتبار العامل الاسرائيلي الذي اسهم في تعزيز وتأكيد صورة عنصرية عن العرب وبالضرورة عن الاسلام، حاك شاهين يقول انه كافح من اجل اصدار اول كتابه له في الهم الذي يمكن ان نطلق عليه هم «صورة العرب»، ولم يصدر الكتاب «التلفزيون العربي»، الا في عام، 1984، ومع ان هذا الكتاب مع كتاب «الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الامريكية» تعتبر من الكتب المهمة التي يدرسها طلاب علم الاتصالات في الجامعات والاكاديميات الا انه يتحسر ان هذه الاعمال لم تجد طريقها بعد للقارئ العربي. وللتخفيف عليه اقترحت ان اقوم بالمهمة، فما كان منه الا ان اعطاني عنوان ناشره «انترلينك» المؤسسة التي تحدثت عنها الباحثة سلمى الخضراء الجيوسي وقالت انها خدمت الادب والثقافة العربية بشكل كبير. بدأ اهتمام جاك شاهين بصورة العرب في الاعلام الشعبي، كهواية عندما كان اطفاله يشاهدون افلام الكرتون المليئة بالكثير من النمطيات واخذ يحلل هذه الصور. وتطور هذا الهم لعمل منظم، حيث اقتضى منه عملا كبيرا للبحث في الافلام وتحديدها، والعثور على ما لم يعد موجودا، خاصة ان تكنولوجيا الفيلم شهدت قفزات من الفيلم الصامت، والاسود والابيض والملون، اضافة الى انه في عصر الاعلام المتعدد، ودي في دي فافلام الفيديو قد تختفي وللابد من رفوف مكتبات الفيديو. شاهين يقول انه يتجنب التعميم عندما يتعلق الامر بالعربي في هوليوود وهو يقسم منتجو الافلام الى ثلاثة اقسام، ثلث لا تهمه صورة العربي ايا كانت، وقسم يهتم بتقديم العربي كما يقول كعدو اول لامريكا، وقسم ثالث لديه الرغبة في احداث نوع من التغير. ومع ذلك وخلال تحليله لاكثر من الف، وجد ان الصور الايجابية للعربي قليلة جدا وتعد على الاصابع، يذكر في هذا الاتجاه فيلم «ملوك ثلاثة» عن حرب الخليج الاولى (1990–1991)، وفيلم «نعم»، الاول قدم صورة انسانية عن العراقيين، اما الثاني فقدم العربي في اطار انساني، وموضوع للحرب والعلاقات العاطفية. مقابل الوف من الصور والافلام التي نزعت الانسانية عن العربي والتي لا تعود كما شائع ومعروف لفيلم «شيخ» (1921) ولكن ابعد من هذا الى عام 1907. والمهتم سيجد الكثير من الامثلة التي تشير الى البدائية والوحشية والتخلف في افلام تعود الى عشرينات القرن الماضي «المومياء» (1942)، «القاهرة» (1942) الى فيلم «حصار» (1998)، «قواعد الاشتباك» (2000)، وقبلها «بروتوكول» (1984)، «قوة دلتا» (1986). جاك شاهين لا يدعو اعلام الصورة في هوليوود لرسم صورة وردية عن العرب وثقافتهم ولكنه يطالب بان يعاملوا بنفس الطريقة التي عومل فيها اللاتينو، واليهود، والسود، والشرقيين (الصين واليابان)، والهنود الحمر، وهو يقول ان اليهود تمت قولبتهم في السينما في بداية ظهورها الا انه بالمقارنة فالعربي ظل يعامل كعدو وفي قالب سلبي منذ بداية الكاميرا وحتى الان.

يقر، جاك شاهين ايضا بوجود منتجي افلام باجندة سياسية، مشيرا تحديدا الى الافلام العنصرية التي قدمها مناحيم غولان، ويورام غولباس، فمن خلال شركة «كانون» قدم هذا الثنائي العنصري 26 فيلما. يتحدث شاهين عن الاثر الذي تتركه هذه الافلام على المشاهد العربي، والعربي الامريكي تحديدا حيث يقول ان العرب الامريكيين يواجهون اسئلة محرجة عندما يتعلق الامر بصورتهم، وتجعل الكثيرين ممن يحملون اسماء عربية الهروب منها، عبر الحذف او الاختصار كما حصل مع اف. موراي ابرامز الذي يقول انه عندما بدأ العمل في السينما، كان واعيا ان «اف» والتي تشير الى اسمه «فريد» لن تجعله مقبولا من صناع ومغولات هوليوود. نمطية العربي وقولبته تعود الى ادبيات القرنين الثامن والتاسع عشر، في اوروبا، وتظهر في افلام بدايات القرن العشرين عند المخرج الفرنسي جورج ميلي، حيث تمت قولبة العربي والمرأة العربية في فيلم «قصر الف ليلة وليلة» (1905). ان هوس هوليوود بالعربي القبيح، تتبدى احيانا في الافلام التي تعود لفترة السينما الاولى التي تنتج باخراج وطاقم جديد في عقود لاحقة، خذ مثلا فيلم «كنوز الملك سليمان» (1950) قدمه غولان في عام 1987 بنسخة جديدة عن العربي الفاسد الذي يحاول اغتصاب البطلة البيضاء، وكذا يلاحظ الامر في افلام «المومياء» التي تقوم على توليفة معروفة عن قيام سارقي الآثار وحفاري القبور بازعاج الموتى مما يؤدي الي ايقاظ اللعنة، ففي افلام الاربعينيات مثلا صورة العربي قد تكون سلبية ولكنها لم تتحول الى كاريكاتير كما في افلام «عودة المومياء» (2001) وافلام «انديانا جونز».

العرب اليوم، والمسلمون في افلام هوليوود تؤكد صورتهم كغرباء، دخلاء، مشرعين السلاح يريدون تدمير امريكا، كما في فيلم «حصار»، وفي العادة يتم تشويه الصورة من خلال المشاهد للمساجد حيث يقوم المخرج بقطع سريع وتحول الى مسلمين، متطرفين يقومون بقتل الامنين. هناك جرأة في عملية القتل العشوائي التي يقوم المخرج بتصويرها للمسلمين، ففي افلام فيتنام، ابتعد المخرج عن المشاهد التي تصور قتل الاطفال والنساء والكبار في السن، ولكن في افلام العرب والمسلمين صار هذا امرا متاحا وموجودا. والملاحظ ان وزارة الدفاع الامريكية التي رفضت في الماضي التعاون مع افلام من هذا النوع، افسحت المجال لافلام الفرق الخاصة، وافلام لحاكم كاليفورنيا الحالي ارنولد شوارزنيغر، «اكاذيب حقيقية» مثلا.

جاك شاهين، المراقب الحذر لافلام هوليوود، قدم عام 2003 كتابا هو بمثابة المعجم او الدليل لكل الافلام التي قدمتها سينما هوليوود عن العرب والمسلمين، والتنوعات الاخرى التي ترتبط بهم، وقدم فيه تحليلا شاملا ووافيا لـ 900 فيلم ويحمل عنوان «شربط العرب السيء: كيف شوهت هوليوود امة». وتكشف الافلام صورا عن البذاءات التي تلفظ بها ممثلون، الغالبية العظمى من ابطال هوليوود، شتموا العرب، الاخوة ماركس، بوب هوب، بن كروسبي، والتي تراوحت بين وصف العرب «اولاد الحرام»، الى «الخنازير»، «عباد الشيطان»، «ابناء ابن اوى»، «الفئران» «اولاد المعزة»، «ابناء العاهرات، و «ابناء الجمال» وهذه فقط التعبيرات المقبولة للذوق، مقابل الكثير من التعبيرات المشينة للذوق والحس، فالعربي «ايراب» في الشيخ، ومعظم النساء العربيات يظهرن كراقصات لهز البطن، وكحيوانات يحملن البضائع على رؤوسهن يتبعن الرجال. ومع معالجة صورة الملكة المصرية كليوباترا، صارت المرأة العربية بمثابة «الثعبان» (سعدية، 1953)، «وحوش المغرب، 1966» وفي بعض الاحيان تظهر المرأة كارهابية تريد تدمير الغرب «المرأة النمرة 1920». وهناك قلة من الافلام التي قدمت بعدا ايجابيا للمرأة العربية، وفي الغالب فالبطل الغربي ممنوع من اقامة علاقة مع المرأة العربية لان هوليوود مارست حظرا على هذه الصورة، والحالات التي حدثت كانت استثناء، كما في فيلم «شيخ» وبعد ان تم تأكيد الحقيقة ان اصل البطل اوروبي وليس امريكي.

«المصريون» مظهر اخر من مظاهر القولبة، فهناك اكثر من 100 فيلم، معظمها عن المومياء تكثر فيها قولبة المصري، والاستثناء الوحيد لهذا جاء في بعض الافلام التي عالجت صورة كليوباترا.

البعد الاخير والاخر من قولبة العرب تظهر هي «الفلسطينيين» حيث ظهرت معظم الأفلام في العقود الاخيرة من امريكا وتدميرها ام تظهر في افلام التسعينات او الافلام التي جاءت بعد هجمات ايلول (سبتمبر) ولكنها حاضرة في افلام قديمة مثل «الايدي الذهبية لكريغال» (1949). مع هذه الصورة جاءت صور اخرى عن شيوخ النفط العرب، بعباءاتهم الذين يحاولون الحصول على اسلحة نووية لتدمير امريكا، وهنا طرأ نوع من التحول على صورة الشيخ العربي الشهواني الى الشيخ العربي الخطير الذي يريد تدمير امريكا، هذه الصورة حاولت افلام مناحيم غولان تعزيزها «هجوم النسور في الفجر» (1970). في تحليله لتمظهرات العربي في السينما الامريكية، يحدد شاهين اربعة صورة نمطية انتجت كما هائلا من الصور الصادمة، وهي صورة «الاشرار» الذين يقوم الاخيار الامريكيون بقتلهم، وصورة «الشيخ» التي حصلت على 160 فيلما، واول فيلم فيها يعود الى عام 1907 «قوة السلطان». في الماضي كان الشيخ العربي يعيش في الصحراء محاطا بالمال والنساء، اما افلام اليوم فالعربي الشيخ، هو الذي يقوم بتشغيل صاروخ، يملك النفط، والمال الكثير ويستخدم الاسلام لتبرير افعاله، الشيخ هنا هو بالضرورة معاد للمسيحية واليهودية. الصورة الثالثة للعربي هي صورة المرأة، الخانعة المستعبدة، التي لا دور لها الا ارواء ظمأ الشيخ، ومعظم النساء العربيات يظهرن كراقصات لهز البطن، وكحيوانات يحملن البضائع على رؤوسهن يتبعن الرجال. ومع معالجة صورة الملكة المصرية كليوباترا، صارت المرأة العربية بمثابة «الثعبان» (سعدية، 1953)، «وحوش المغرب، 1966» وفي بعض الاحيان تظهر المرأة كارهابية تريد تدمير الغرب «المرأة النمرة 1920». وهناك قلة من الافلام التي قدمت بعدا ايجابيا للمرأة العربية، وفي الغالب فالبطل الغربي ممنوع من اقامة علاقة مع المرأة العربية لان هوليوود مارست حظرا على هذه الصورة، والحالات التي حدثت كانت استثناء، كما في فيلم «شيخ» وبعد ان تم تأكيد الحقيقة ان اصل البطل اوروبي وليس امريكي.

«المصريون» مظهر اخر من مظاهر القولبة، فهناك اكثر من 100 فيلم، معظمها عن المومياء تكثر فيها قولبة المصري، والاستثناء الوحيد لهذا جاء في بعض الافلام التي عالجت صورة كليوباترا.

البعد الاخير والاخر من قولبة العرب تظهر هي «الفلسطينيين» حيث ظهرت معظم الأفلام في العقود الاخيرة من القرن العشرين، اي في الثمانينات والتسعينات، 1983 ـ 1989، وتسعة افلام في الفترة ما بين 1990 ـ 1998، والملاحظ في هذه الافلام هي غياب صورة الفلسطيني العادي عنها، ولم تعرض هوليوود لو فيلما واحدا عن عائلة فلسطينية تكافح من اجل البقاء في ظل الاحتلال الاسرائيلي، وتمسكت معظم الافلام بالشعار الصهيوني ان فلسطين هي ارض بلا شعب كما في فيلم «سيف الصحراء» (1948)، وفي فيلم «الخروج» (1960) قام بول نيومان باعلان الحرب على الفلسطينيين. ويشير شاهين الى الدور السام الذي لعبته افلام غولان التي كانت في جوهرها دعائية مغلفة بغلاف الترفيه. هناك في هوليوود افلام معادية للعرب في موضوعها، ولكن في بعض الافلام تم حشر العربي بصورة لتؤكد نية المنتجين على تقديم اجندة معادية للعربي، ويشير شاهين الى 250 فيلما، وقد شارك في هذه الافلام مخرجون معروفون من سبيلبيرغ، فرانسيس فورد كوبولا، وريدلي سكوت، مع ان شاهين كان متحمسا لفيلم الاخير «مملكة السماء» حيث قال «برافو» محييا سكوت في عمله الاخير.

عن الاسباب التي ادت بتأكيد هذه النمطية، لا يغفل شاهين العامل الاسرائيلي وعوامل اخرى، حيث يقول ان الصورة ظهرت اكثر بعد انشاء اسرائيل عام 1948، ولكن حظر البترول، وانتصار الثورة الاسلامية، وغزو اسرائيل للبنان والانتفاضة الفلسطينية وحرب الخليج كانت عوامل اسهمت في هذه القولبة. اما عن سبل الحل والاسهام فيه، فشاهين يتحدث عن الحوار وتقديم الدليل لصناع هوليوود انهم ولقرن من الزمان استهدفوا العرب، باعتباره «الاخر» المختلف. وبمعجمه الجديد هذا يأمل شاهين ان تصبح صورة العربي السيئ صورة من الماضي الذي لن يعود ابدا.

---

* جاك شاهين بروفسور علم الاتصالات في جامعة جنوب ايلينويز، ومستشار سابق لشبكة انباء «سي بي اس»، له «الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الامريكية»، «افلام الحرب النووية»، «التلفزيون العربي».

Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies People
By:
Jack Shaheen
Arris Books
Gloucestershire/2003

جاك شاهين

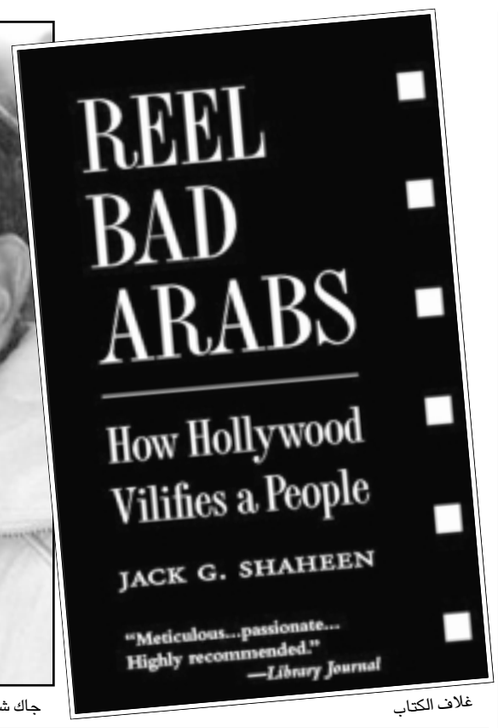

غلاف الكتاب

لقطة من فيلم «الشيخ»

تنظمه مؤسسة «المورد» الثقافي:

اللقاء الثاني للأدباء الشباب العرب بالبحرين

المنامة ـ «القدس العربي» ـ من عبد العزيز الراشدي:

اختتمت قبل أيام، بدولة البحرين، أشغال الملتقى الثاني للأدباء الشباب العرب الذي نظمته مؤسسة المورد الثقافي بتعاون مع غاليري الرواق، وجريدة «الوطن»، وعرف مشاركة أدباء شباب من كل من الجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين، والأردن، والبحرين، وسلطنة عمان، وسورية والسعودية والمغرب.

وقد تضمنت أشغال هذا الملتقى ورشات في الشعر والقصة القصيرة أطرها كل من خالد مطاوع، الأستاذ بجامعة ميشيغن بالولايات المتحدة، وسحر الموجي، الروائية الصحافية والأستاذة بجامعة عين شمس بالقاهرة، بالاضافة إلى محاضرات حول التجربة القصصية والشعرية العربية الجديدة ألقاها كل من الصحافي المصري سيد محمود والناقد البحريني محمد البنكي. كما تضمن البرنامج قراءات أدبية للمشاركين بكل من غاليري الرواق ومركز الشيخ زايد، علاوة على لقاء مفتوح مع الأديب البحريني قاسم حداد تحدث فيه عن الكتابة والموسيقى وآرائه حول التجربة الشعرية الجديدة..

في اليوم الأول للقاء، خلال جلسة الافتتاح، أكد خالد مطاوع على أهمية اللقاء باعتبار أن هذه الدورة لم تتعثر كما حدث للدورة الأولى بالقاهرة التي واجهت مشاكل، وأبدى سعادته لتمكن المورد من لم شمل كل هؤلاء الأدباء الشباب الذين يمثلون الصورة المستقبلية للمشهد العربي الثقافي..

في محاضرته حول الأدب الجديد، أو أدب التسعينيات كما أسماه، أشار الناقد البحريني، رئيس تحرير مجلة «أوان» إلى إشكالية المفهوم، الذي اعتبره مصيدة، لأنه مبني على مصادرات عدة جرى تمريرها داخل العنوان. وتساءل، هل هناك أدب تسعيني؟ ما هي مقوماته وخصوصياته؟ ألا يبدو الحديث عن هذا الأدب جلبا لنوع من القطيعة؟ هل أحدث هذا الأدب (إذا وجد) فعلا قطيعة؟ هل نسمي أدب التسعينات ما يكتبه فقط الكتاب الشباب أم أن الكبار الذين طوروا أساليبهم تسعينيون أيضا؟ ثم لاحظ استحالة القطيعة لأن الكتابة استمرار في الزمان والتجربة...

وحدد محمد البنكي آليات التقسيم، واعتباراته فخلص إلى أن تحقيب الأدب ينطلق من منطلقات أهمها:

ـ فكرة الأجيال (الزمن)، حيث أن المنطلق السوسيو أدبي أو التاريخ أدبي، يمنح الباحث هذه الامكانية. لكنه عاد وأكد بأن التحقيب مجرد حيلة قديمة وكسولة يلجأ إليها الباحث، ونفى أن يكون الفصل ممكنا مادام الأدب يستمد مادته الأساسية من القديم اللغة، الاحساس، التراكم الوجداني..).

ـ التراكم، مقترحا مَثَل الجوائز التي كرست صيغة أدبية وأسماء معينة، كسحر الموجي، ورجاء عالم، ويوسف الحميد، هدى أبلان، هدى العطاس، وجدي الأهدل، فخري صالح، ياسين عدنان، خليل صويلح...

ثم تساءل، هل تقتصر التجربة التسعينية على الجيل الجديد؟ أم أن تحولات أدباء الستينات يمكن إدراجها ضمن نفس الإطار، لتكون منطلقا آخر لتحديد المفهوم؟ فقاسم حداد مثلا وعباس بيضون وغيرهما راكموا تجربة غنية ومختلفة تحايث من حيث الأشكال والمضامين والرؤية ما يكتبه التسعينيون...

وعلى مستوى المتابعة النقدية، أشار البنكي إلى تجربة كل من ادوار الخراط وصبري حافظ، وكمال أبو ديب، وعبد العزيز بومسهولي ومحمد لطفي اليوسفي، التي تابعت هذا الأدب وحاولت التنظير له.. مبرزا بعض هفواتها، حيث انعكست المتابعة في بعض هذه التجارب على الذات بدل الموضوع. ثم تحدث عن النقد الجديد الذي يقترح قراءة عاشقة لهذا الأدب، ويدخل عليه من باب الجمال..

ولاحظت التدخلات وهي لكل من «المغربين محسن أخريف ورشيد منيري، والسورية مرام اسلامبولي، الفلسطينية مليحة مسلماني، والمصريين محمد عبد النبي ومحمد صلاح العزب، والتونسية يسرى فراوس، والصربة سحر الموجي»... عمومية الطرح لدى التطرق، على مستوى القراءة، لتجربة الكتاب الشباب في الوطن العربي، إذ تلجأ القراءات في الغالب إلى الحوم حول التجربة دون إبراز الخصائص الفنية والجمالية لهذا الأدب ودون إعطاء أمثلة محددة، كما لا حظت تدخلات أخرى تهافُت الكثير من الكتابات التسعينية التي تعتني بالبيانات بدل الكتابة، مما يجعل طموحها أقوى من قدرتها.. ولامت تدخلات أخرى النقد لعدم مواكبته الزخم الابداعي الجديد مع التأكيد على ريادة هذه الكتابة وانفتاحها على الأفق العالمي من خلال ثراء الإطلاع وقدرة الكاتب الجديد على القراءة بلغات عدة.. وفي معرض تعقيبه عاد محمد البنكي إلى الاتفاق مع الكثير من هذه الملاحظات، مؤكدا في الوقت ذاته أنه مبدع، في صف المبدعين، وأنه لم يأت إلى الجلسة ناقدا...

المحاضرة الثانية للصحافي سيد محمود، حول الرواية الجديدة في مصر، كانت محاولة لمسح المشهد الروائي الجديد، الذي أكد المحاضر أهميته بخلاف الشعر الذي يعيش أزمة مع القارئ. هاته الأهمية صاحبتها مواكبة نقدية بعد الثمانينيات مباشرَة، ونجحت في تكريس تجارب لدور نشر واكبت هذا الزخم فاستفادت بدورها وأخذت حظها.. وأوضح سيد محمود الاختلاف الحاصل في تفسير هذه الموجة من الكتابة، حيث يرجعه البعض إلى تشعبات المكان (القاهرة تحديدا)، حيث تعتني هاته الكتابات بالمهمش والهامشي (لصوص متقاعدين لحمدي أبو جليل، بمناسبة الحياة لياسر عبد الحافظ، أن تكون عباس العبد لأحمد العايدي، وغيرها...) بينما يقرأه البعض من منظور موت القضايا الكبرى والاعتناء باليومي..

وتساءل: ماذا اكتشفت الرواية الجديدة لتحظى بمكانتها؟ أهو التشظي؟ اكتشاف العنصر السير ذاتي؟ الحوار بين أشكال كثيرة من الكتابة؟ التشكيل النصي؟ الغرائبية؟ (كما حدث حين كتبت ميرال الطحاوي عن البدو، ونالت شهرة واسعة) ـ الاهتمام بالأطراف؟ ربما هي أسباب تجتمع لتمنح الرواية المصرية الجديدة، والعربية عموما خصوصيتها التي تكرست بمقاومة الكتاب الجدد لكل أشكال الاقصاء ونزوحهم إلى النشر بشكل فردي بدل الاعتماد على مشاريع النشر الرسمية كالسالفين...

واستمر النقاش بخصوص هذا الموضوع ـ الذي اعتبره الشاعر المغربي محسن أخريف نوعا من البحث عن كسب الريادة للأدب المصري ـ لوقت طويل، إلى أن اضطر المسير إلى إيقاف النقاش بسبب ضيق الوقت..

في مداخلته حول الموسيقى والكتابة، أثنى الشاعر قاسم حداد على جمالية الحذف، وأوضح بأننا لا ينبغي أن نكون عاطفيين تجاه نصوصنا، وأن الكتابة تمر عبر مستويين: التدفق الذي يحتل أهمية قصوى، وإعادة التشكيل الذي يحتل الحذف خلاله الجزء الأهم.. وتساءل: إلى أي حد نستطيع ككتاب مغايرين اقتراح مفهوم جديد للموسيقى في النص؟ سواء في الشعر أو النثر؟ وأثنى على الكتاب الجدد الذين يأتون إلى النص عراة من أسلحة الوزن والقوافي. فالذي يأتي وفي جعبته هذه الأسلحة ـ حسب الشاعر ـ يوهمنا بأنه يمتلك جزءا من الشعر، بينما يتحمل كاتب النص العاري المسؤولية الكبرى في تحقيق نصية النص، وهذا ما يجعل النص عند الأخير أكثر جمالا، كما يفيد هذا النوع من الاشتغال الكاتب في البحث عن صيغ (فلسفية) لإقناع القارئ بجدوى عمله، كما يعينه على إنتاج مفاهيم جديدة والتعمق في اكتشاف الجماليات والاحتمالات بشكل غير محدود، ويفيد من جهة أخرى في التعاطي مع اللغة الأم بعيدا عن الزخرف والبلاغيات التي تخلق حجابا سميكا بين الكاتب ولغته.

مداخلة الأديب قاسم حداد، جاءت في أغلبها على شكل أسئلة، تفضح القلق الكامن لدى الشاعر، ونزوعه إلى الشك، بدل الأجوبة الجاهزة، مما جعلها تحظى باهتمام الكتاب الشباب فتساءل الكاتب المسرحي عمرو سواح من سورية، عن رأي قاسم في العودة إلى التراث؟ وتساءل باسم شرف من مصر عن علاقة الكاتب بنصه، هل هي علاقة واعية بالضرورة؟ فقد يكتب الشاعر قصيدة نثر لكنه يكتشف بأنها موزونة.. وهل يقترح قاسم حداد شعرا بديلا؟.. وتساءلت يسرا فراوس من تونس عن الطاقة الكامنة في اللغة، التي جعلت السابقين يضعون الأوزان؟ وتساءل صالح قادربوه من ليبيا بخصوص التجريب في الشعر وموقف قاسم حداد منه؟ بينما تحدث محمد خضر الغامدي من السعودية عن التجارب المشتركة لدى الشاعر مع كتاب آخرين.وتساءل وليد الزريبي من تونس عن القيود التي يقترحها الشاعر في الكتابة ومدى تناسقها مع طرحه الفني؟ وأكدت ديالا خصاونة من الأردن في السياق ذاته على أهمية نزع القداسة عن اللغة وتساءلت كيف يقوم الشاعر بذلك؟ وتساءل رشيد منيري من المغرب عن التعاون بين قاسم حداد ومرسيل خليفة؟كما تساءل مازن حبيب من سلطنة عمان عن أوقات الكتابة؟ وأكد الفارس الذهبي من سورية على أهمية التصوير ومسرحة النص الشعري. بينما اختتمت الجزائرية فائزة مصطفى لائحة التدخلات بالتساؤل حول شعرية القادمين إلى اللغة العربية من قوميات أخرى؟

في معرض جوابه، أوضح الشاعر أن العودة للتراث لا تعني ترك العالم ، ليست نوعا من الاستلاب، الحرية أمام الكاتب الشاب كبيرة، لذلك عليه اقتراح جماليات جديدة، دون إغفال قراءة التراث كي لا يُسلّط علينا التراث سيفه.النص مقدس في المجتمع العربي، وقراءة هذا النص أضحت أيضا مقدسة مع مرور الزمن، فأين هي حرية المبدع؟ أين إبداعه وذهابه إلى النصوص الأولى ليعرف أن الخليل بنى فقط على نصوص قبل الوزن وأخذ منها ليبرر طرحه؟

لا أقترح شعرا بديلا ـ يقول قاسم حداد ـ بل مفاهيم جديدة للشعر. وأنا لم أقل بأن السابقين لم يفعلوا شيئا، فالأوزان واحدة من عبقريات التراث العربي، لكن على الجيل الجديد أن يعطي مبررا لوجوده من خلال إشعال المخيلة واقتراح الجديد.. ليست لدي وصفة جاهزة للتعامل مع التراث، وعشق اللغة ضروري. حين أكتب، أسجل مقاطع وصور متفرقة، لكن لحظة الكتابة تتطلب الجلوس إلى الطاولة، وبخصوص الصور، أغذي المخيلة من البحر والسينما، وأرى الأشياء بالدهشة ذاتها التي رأيتها بها أول مرة، الجمال في الداخل، وعلى الشاعر اكتشافه فقط، ومخيلتنا تمتلك كل زخم التراث الإنساني..

وبخصوص التجارب المشتركة، أوضح الشاعر أهميتها، فهي عادة تفجيرات مشتركة، لم يكن لها هاجس الحفاظ على أسلوب الشخص، بل كان النزوع الأساسي هو ابتكار ثالث موجود أساسا، فقد يبدأ الشخص منَ مُسودة الثاني بالحذف أو الاضافة، وقد يأتي السارد من الشعر والعكس. أما تجارب القادمين من قوميات أخرى فذكرت الشاعر بالتجربة الرائدة لسليم بركات الذي اعتبره قاسم عنوانا كبيرا من عناوين الشعر..

وعبر الشاعر عن قلقه من كلمة تجريب، فهو يشعر في الكثير من الوقت بأن الحياة تجربة ليست براغماتية، إنها الحياة، وبالتالي، يجد حواجز كثيرة مع المسرح التجريبي لأنه يقترح أساسا «تجربة». ينبغي وضع النص في سياق الحياة، ولا ينبغي أن نتعامل في كل خطواتنا مع المحترَف، فالنص خلاصة حياة.

وتميزت الورشات التي نظمت خلال اللقاء، وتنوعت بين فتح النص وتقطيع نصوص قديمة وكتابة جديدة، باختلاف شديد حول أهميتها وضرورتها، حيث رأى بعض المشاركين بأن الورشات عديمة الجدوى بالنظر إلى المستوى المتميز للمشاركين وقوة نصوصهم، في مقابل استناد الورشات إلى صيغ ثابتة تفرض على المشارك رؤية واحدة لكتابة النص.وكذا حاجة الأدباء الشباب ليس إلى ورشات بل إلى اللقاء مع الجمهور وقراءة نصوصهم. وهذا ما جعل الكاتبين البحرينين علي الجلاوي وسوسن دهنيم ينسحبان من اللقاء بعد نقاش مع مديرة المؤسسة وخلاف حول وجهات النظر، حيث رأت الكاتبة البحرينية المشاركة في اللقاء عائشة الصقر، في السياق ذاته أن الكتابة ليست فعل أمر، وأن حرية المبدع مقدسة..

هذا الطرح رد عليه المنسق خالد مطاوع بقوله: ان مؤسسة المورد قد اشترطت على المشاركين الالتزام منذ البداية بالورشات، وأن تلك صيغة عملها ولا يحق للمشارك مطالبتها بتغيير طريقة عملها التي تختلف بها عن الملتقيات والمهرجانات الأدبية الأخرى...

في أمسية تقييم الملتقى، أجمع المشاركون على نجاحه، وعلى أهميته، إذ تمكن من كسر الحواجز بين الأدباء الشباب في الوطن العربي، مع تشديدهم على انتقاد الورشات، داعين المؤسسة إلى النظر في اقتراحات الكتاب المشاركين من أجل تطوير الأداء مستقبلا.

هَمْسُ النَّزْوَة

رشيد منيري*

بِعَشْوَائِيَّةٍ وَ تَهَتُّرٌ
وَلَمْ يَكُنْ مُشْرِفاً
أَيُّ حَدِيثٍ عَنْ قَوَانِينِ السِّيَرْ

النَّزْوَةُ
رَكِضَتْ
كَنَظْرَةٍ فَائِقَةِ السِّحْرِ
وَ بَدَا أَنَّ شَيْئاً
لَنْ يُوقِفَهَا

كَانَ الْعَالَمُ لَوهْلَةٍ
مَحْضَ رِهَانٍ
كَانَ الجَمَالُ المُفْرِطُ
قَدْ أَسَرَ الحَيَاةَ
قُرْبَ ذَيَاكَ الحَاسُوبِ،
الجَمَالُ الماكِرُ الَّذِي
يَحْبِسُ الضَّوْءَ فِي
أَقْفَاصِ مِنَ الرَّعْشَةِ
اللَّامِعَةِ
وَحْدَهَا شُكُوكِي القَدِيمَةُ
بِالْعَالَمِ
ظَلَّتْ تَرْعَى
فِي سُهُوبِ اليَقِينِ
طَلِيقَةً كَخَرَافٍ جَائِعَةٍ..

وَ الْيَدُ الرَّقِيقَةُ
الَّتِي ارْتَجَفَتْ
عَلَى مَلْمَسِ
الحَاسُو